

**شعارات الإصلاح والتغيير المعاصرة
عرض ونقد**

بحث:
شعارات الإصلاح والتغيير المعاصرة
عرض وتقد

ورقة عمل مقدمة إلى:
مؤتمر الإصلاح والتغيير: رؤية شرعية
الذي أقامته:
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت
بتاريخ: ٢-٣ ربيع الأول هـ، ١٤٣٤
الموافق: ١٤-١٥ يناير ٢٠١٣م

إعداد: عبد الحق التركماني

نشر موقع الشيخ عبد الحق التركماني
www.turkmani.com

شعارات الإصلاح والتغيير المعاصرة

(عرض ونقد)

ورقة عمل مقدمة إلى:

مؤتمر الإصلاح والتغيير: رؤية شرعية

الذي أقامته:

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت

بتاريخ: ٢-٣ ربيع الأول هـ، ١٤٣٤ الموافق: ١٤-١٥ يناير ٢٠١٣م

تقديم:

عبد الحق التركماني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مدخل:

الشّعارات جمعُ شعار، وهو - في اللغة - عبارة يتعارف بها القومُ في السّفر أو الحرب، وهو ما يسمّى: سرّ الليل. ويقال: شعارُ بني فلان. أي: التّداء يُعرّفون به. وقد كان رسول الله ﷺ وصحابته الكرام يتّخذون شعاراً في الحرب، به يتنادون ويتعارفون^(١).

ويطلق الشعار في الاستعمال المعاصر على الرموز الحسيّة الدالة على معانٍ معيّنة، فتكون رسماً أو علامةً أو عبارةً مختصرةً تُرسم بطريقة فنيّة معيّنة، يتيسّر تذكُّرها وترديدها، تتميز بها دولة أو جماعة، ترمز إلى شيء، وتدُلُّ عليه. ومنها: الشعارات التجارية، أو ما تسمى «ماركة تجارية»،

(١) يراجع ما ذكره أبو بكر ابن أبي شيبة في «المصنّف» باب الشّعار، وساق فيه جملة من الأحاديث والآثار.

وشعار الشَّرف: شارة تُحمل دلالةً على الانتساب إلى مدرسة أو نادٍ وغير ذلك^(١). ومن هذا الباب اللباس الذي يتميَّز به بعض الناس إمَّا لأسباب دينية، كلباس أحبار اليهود ورهبان النصارى، وإمَّا لأسباب دنيوية كلباس الجُند وذوي المهن المختلفة^(٢).

والمقصود في هذا البحث الموجز المعنى الأول، فالشَّعار كلمة أو عبارة دالةٌ بالوضع على معانٍ ومفاهيمٍ معروفةٍ عند أهلها. فالشعار والشعارات - من هذه الجهة - مثل: المصطلح والمصطلحات، إلا أن الشعارات يقصد بها الإعلام والإشهار، كما يقصد بها أيضًا توجيه الناس والتأثير فيهم علميًا وفكريًا وعاطفيًا من خلال التنادي بها والجمع عليها وإثارة المشاعر والحماس بها. وقد تكون من الخصائص التي يحصل التمايز بها؛ كالتحيَّة بالسَّلام، فهي من شعار المسلمين المميَّز لهم من غيرهم من أهل الملل^(٣). وهذا بخلاف المصطلحات التي يتداولها أهل كل فنٍّ في دائرة تخصُّصهم، فليس كل مصطلح شعارًا، وقد لا يصح إطلاق القول بأن كل شعار مصطلح، لأن بعض الشعارات قد يكون عبارة فارغة من أي مضمون علمي أو فكري دقيق.

(١) انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرين، عالم الكتب، بيروت: ٢٠٠٨م، (مادة: شعر).

(٢) قارن بما في: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، القاهرة: ١٠/٢٧٥ (٥٨٠٨)، و١٠/٢٨٨ (٥٨٣١).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ، ٣٦/٢.

الشعارات في الميزان الشرعي:

النظر في الشعارات ومدلولاتها واستخداماتها يختلف بحسب المرجعية العقديّة والدينيّة والفكريّة للباحث أو الناقد، لهذا يختلف الناس في هذا الميدان كما يختلفون في الميادين الأخرى، والمسلم الحقّ ليس له إلا مرجعية الكتاب والسنة كما قال ربُّنا سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء]، قال عامّة المفسرين: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فهذا أمر من الله عزّ وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يردّ التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحقّ، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟^(١) ثم المسلم محكوم - في ذلك - بدلائل اللُّغة والإجماع وفهم سلف الأمة وأئمة الدّين وضرورات العقل والحسّ. فهذا مرجعيته في تقييم الشعارات والمبادئ والأفكار، والحكم عليها صحةً وفسادًا، أخذًا وردًّا.

ومن هذا المنطلق، وفي ضوء المعايير الشرعية في الحكم على الألفاظ

(١) «تفسير القرآن العظيم» لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي [النساء: ٥٩]، وانظر: «جامع البيان في تأويل القرآن» لأبي جعفر ابن جرير الطبري [النساء: ٥٩].

والمصطلحات، أرى أنّ الشّعارات المعاصرة يمكن تصنيفها في أقسام ثلاثة:

القسم الأول: شِعارات صحيحة معتبرة: وهي الموافقة للألفاظ والمعاني الشرعية، مثل: الحق، والعدل، والإحسان، والخير، والإصلاح، ورفع الظلم، والنهي عن الفساد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولزوم الجماعة، والتحذير من التفرُّق والاختلاف، ومحاربة الفاحشة والرذيلة، وتحكيم شرع الله عزَّ وجلَّ. فلا يختلف أحد من المسلمين أن هذه الألفاظ قد جاءت بها الشريعة، وهي دالة على معانٍ صحيحة يحبها الله تعالى ويرضاها ويأمر به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٤] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، والآيات في تقرير هذه الألفاظ والمعاني كثيرة جدًا.

القسم الثاني: شِعارات فاسدة باطلة: وهي المخالفة لدين الله تعالى وشرعه في ألفاظها ومعانيها ولوازمها، مثل: السلطة للشعب، والسيادة للأمة، والعقد الاجتماعي، والحرية، ونحوها.

إنَّ المسلمَ لعجب أشدَّ العجب عندما يجد كثيرًا من المنتسبين إلى التيارات والحركات الإسلامية يردُّ هذه المصطلحات والشعارات، ويروجها بين عامة المسلمين على أنَّها مسلَّمات ضرورية، حتَّى بلغ ببعضهم المبالغة فيها إلى القول بأن «الحرية مقدَّمة على الشريعة»، أو «الحرية قبل الشريعة»، ونحو ذلك من العبارات التي لا يمكن أن يخفى فسادها ومناقضتها للأصول الشرعية على طالب علم أو داعية أو متعلِّم من عامة المسلمين.

أما «السلطة والسيادة» فهي حقٌّ خالصٌ لله عزَّ وجلَّ، وهذا من أصول الدين وقطيَّاته، كما قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [١١٤] وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [١١٥] وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ [١١٦] [الأنعام]، إلى غير ذلك من الآيات.

أما «العقد الاجتماعي» فنظريَّة غربيَّة في أصل بناء الدولة والمجتمع وإقامة نظام الحكم والتشريع، وهي أسُّ النظريات العلمانية والليبرالية وأساسها، وعنها تفرعت جميع المناهج العلمانية القاضية بإقصاء الدين عن حكم الدولة والمجتمع، وهو ما يعبر عنه بالمصطلح الآخر: «المجتمع

المدني»^(١)، وهذا وذاك كلاهما مناقضان لشريعة الإسلام جملةً وتفصيلاً، فكيف لمسلم أن يدعو إليهما، ويكثر من ترادها في دعوته الإصلاحية - زعموا! -.

القسم الثالث: شعارات مجملة تحتمل معانٍ صحيحة وأخرى فاسدة: فهذه لا تقبل بإطلاق، ولا تردُّ بإطلاق، بل يجب التفصيل فيها، فما كان فيها من حقٍّ أفرَّ وقُبِلَ، وما كان فيها من باطل رُفِضَ وردَّ، مع الحرص على تجنُّبها وعدم استخدامها، والاستغناء عنها بالشعارات الصحيحة الصريحة سداً للذرائع إلى ترسيخ المفاهيم الفاسدة.

والناظر في شعارات الإصلاح والتغيير المعاصرة يجدها أكثرها داخلة في هذا القسم، لأنَّ أصحابها يحرصون على ترويح باطل ما فيها - وهو غرضهم وغايتهم - ببعض ما يتضمنه من الحقِّ، وهكذا حال الدعوات المنحرفة كلها، لا بدَّ أن فيها شيئاً من الحقِّ، وإلا فإن الباطل المحض لا يدعيه أحد، ولا يقبله أحد.

والمقصود: «أنَّ هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقلياتهم التي هي في الحقيقة جهليات، وبأفكارهم التي هي في الحقيقة شبهات وشهوات»؛ إنما يَبْنُونَ أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة محتملة، تحتمل معاني متعددة، ويكون ما فيها من الاشتباه في المعنى والإجمال في اللفظ يوجب تناولها بحقِّ وباطلٍ، فبما فيها من الحق يقبل من لم يُحِط بها علماً ما فيها من

(١) انظر: «العقد الاجتماعي» لجان جاك روسو، ترجمة عادل زعيترو، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

الباطل، لأجل الاشتباه والالتباس، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء، وهذا منشأ ضلال من ضلَّ من الأمم قبلنا، وهو منشأ البدع كلها، فإن البدعة لو كانت باطلاً محضاً لما قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارها، ولو كانت حقاً محضاً لم تكن بدعة، وكانت موافقة للسنة، ولكنها تشتمل على حق وباطل، ويلتبس فيها الحق بالباطل؛ كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]،

فنهى عن لبس الحق بالباطل، وكتمانه، ولبسه به: خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالآخر، ومنه التلبيس، وهو التدليس والغش الذي يكون باطنه خلاف ظاهره، فكذلك الحق إذا لبس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق، وتكلم بلفظ له معنيان: معنى صحيح، ومعنى باطل، فيتوهم السامع أنه أراد المعنى الصحيح، ومراده الباطل فهذا من الإجمال في اللفظ. وأما الاشتباه في المعنى: فيكون له وجهان: هو حق من أحدهما، وباطل من الآخر. فيوهم إرادة الوجه الصحيح، ويكون مراده الباطل. فأصل ضلال بني آدم من الألفاظ المجملة، والمعاني المشتبهة، ولا سيما إذا صادفت أذهاناً مخبطة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب، فسئل مثبت القلوب أن يثبت قلبك على دينه، وأن لا يوقعك في هذه الظلمات»^(١).

ومن أمثلة هذا القسم: «العدالة الاجتماعية»، فقد يراد بهذا

(١) «الصواعق المرسله» لابن القيم، دار العاصمة، الرياض: ١٤٠٨هـ، ٣/٩٢٥-٩٢٦.

«العدل»، ومفهومه حقٌّ مطلق، وقد يراد به: توزيع الثروات والاعتداء على حقوق أصحاب رؤوس الأموال باسم الاشتراكية ونظامها الظالم الفاسد. ومنها: «محاربة الاستبداد»؛ فإنَّ الاستبداد في اللغة هو الاستقلال بالأمر، يقال: استبدَّ بالأمر يستبدُّ به استبدادًا؛ إذا انفرد به دون غيره. واستبدَّ برأيه: انفرد به^(١). وهذا المعنى لا يتضمن محذورًا في حكم الشريعة، لأنَّ لولي الأمر حقَّ اتخاذ القرار بما يراه في صالح الديانة ثم الرعية، وقد قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وحتى النظم الغربية لا تجرِّد الحاكم أو رئيس الدولة من صلاحيَّاته كلها، بل لا بدَّ أن يكون صاحب كلمة وقرار في حدود ما يسمَّى بالصلاحيات الدستورية، وإلا لم تكن لولايته معنىً.

أما إن كان المقصود بالاستبداد: الظلم والاعتساف؛ فهذا استخدام للفظ في غير معناه العربي، وتدليس بلفظ مجمل لترسيخ مفاهيم باطلة تجرِّد الحاكم من الحقوق التي أثبتتها له الشرع الحنيف؛ كالأمر والنهي في غير معصية الله تعالى، وحقَّ السمع والطاعة على رعيَّته في المنشط والمكره والأثرة، والنهي عن الخروج والثورة ما لم يظهر الكفر البواح^(٢).

وقد كان سلفنا - قبل أن تزحف على المسلمين هذه الشعارات المموَّهة - يعبرون بالاستبداد عن تفرُّد من هو دون السلطان بأمر يختصُّ السلطان

(١) «لسان العرب» لابن منظور (مادة: بدد).

(٢) راجع الأحاديث النبوية وكلام الأئمة في تقرير هذا المعنى في كتاب «معاملة الحكام في ضوء السنة النبوية» للشيخ عبد السلام البرجس رحمه الله.

به، فيقال في الكلام عن وزير: استبد على السلطان أو على الدولة: غلبه على أمره، واحتكر لنفسه كل السلطة^(١).
فليتأمل العاقل أثر الفكر الغربي في انقلاب المفاهيم عن كثير من المسلمين.

كلمة حقُّ أريدَ بها باطل:

لا يقف الأمر عند تحديد معنى «الشعار» ودلالته ولوازمه، بل لا بدَّ - مع ذلك وبعد ذلك - من التَّنظُر في استخدامه في السياق الصحيح، وفي الأغراض والأهداف المشروعة، وعدم استغلالها لترويج مفاهيم منحرفة، أو نقلها من معانيها الصحيحة إلى معاني أخرى طرأت عليها بحكم البيئة والاصطلاح العارض، وقد رفع الخوارج الأَوَّلون شعاراً: «لا حكم إلا لله»، واستغلوا ذلك في الثورة على السلطان الشرعي الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام، والخروج عن طاعته، وإلزامه بما لا يلزمه شرعاً ولا سياسةً، لهذا قال عليٌّ عليه السلام عن شعارهم هذا: «كلمةٌ حقُّ أريدَ بها باطلٌ»^(٢).

(١) وقد أفرد ابن خلدون في «المقدمة» فصلاً لهذا، فقال: «الفصل الحادي والعشرون: فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه». وانظر: «تكملة المعاجم العربية» لـ«دُوزي»، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد: ١٩٧٩م، ٢٥١/١.

(٢) أخرجه مسلمٌ في «الجامع الصحيح» (١٠٦٦) عن عبيد الله بن أبي رافع، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله: أنَّ الحروريةَ - وهم الخوارج - لما خرجتْ، وهو مع علي بن أبي طالب عليه السلام، قالوا: لا حكم إلا لله! قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وصف ناساً، إني لأعرف صفتهم في هؤلاء: «يقولون الحقُّ بألسنتهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه، منهم أسودٌ، إحدى يديه طبي شاة، أو حلمة ثدي». فلما قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

واستخدام أهل الفساد للعبارات الشرعية الصحيحة مسلكٌ قديمٌ، فقد ذكر الله تعالى عن المنافقين الأولين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة]، وهكذا حال كلِّ مفسدٍ يدعي أنه يريد الإصلاح. وهكذا الحال أيضًا فيمن يدعي محاربة الإفساد لكنه في حقيقة الأمر من أسباب الفساد ودعاتها، بل إن مفسدًا عظيمًا مثل فرعون قال لقومه: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٧﴾﴾ [غافر]! وأخبر الله تعالى عن المنافقين أيضًا أنهم يتحاكمون إلى الطاغوت ويعرضون عن الحق والهدى ثمَّ يسمُّون ذلك بأسماء من أحسن الأسماء، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ يَرِئُونَ الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ وَكَانُوا كَالْقَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة]، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة]، فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ

انظروا! فنظروا فلم يجدوا شيئًا. فقال: ارجعوا فوالله، ما كذبتُ ولا كُذبتُ. مرتين أو ثلاثًا، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبید الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْضَنَا إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٦﴾ [النساء].

فيتبين من هذا أن: «الكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريدُ بها الآخر محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه ويناظر عليه»^(١)، وهذا ينبّه العاقل على الحذر من الاغترار بالشعارات المرفوعة - وإن كانت في نفسها صحيحة مطلوبة - حتى يتضح له المقصد من استخدامها، والغاية في المطالبة بها.

العولمة وزحمة الشعارات:

لم تمتحن الأمة الإسلامية في خصوصيتها الدينية والأخلاقية والاجتماعية كما ابتليت في العقدين الأخيرين بما سُمي بعصر العولمة، فقد انتشرت وسائل الإعلام والاتصال، وأزيلت أكثر الحواجز بين الأمم، وبات يسيراً على العامة الاطلاع على كثيرٍ من الدعوات والأفكار ممّا كان العالم والمثقف يختصّ بالإطلاع عليه في بطن كتاب، أو ثانياً مجلة، أو في نوايدٍ للخاصة من عليّة القوم! واستغلّ العالم الغربيُّ هذا الشَّرْحَ في جدار حراسة الأمة بالزحف عليها من كلِّ جانبٍ في حربٍ شرسة على الخصائص والمبادئ والقيم، وكان من أفتك أسلحته حربُ المصطلحات والشعارات المولودة في أرضه، والخارجة من رحم تاريخه المثقل بالظلام والظلم والجور من قبَل الكنائس والملوك، فهي معبرة عن عقيدته وفكره، وسيرورة حضارته وتاريخه، فنقلها إلى حضارة أخرى، وإلى مجتمع آخر، مختلف في

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٩٦م، ٤٨١/٣.

عقيدته ومنهجه في أنظمة الحكم والاجتماع، ومختلف أيضًا في ميراثه التاريخي والحضاري؛ وضعٌ للشيء في غير موضع، واستخدام له في غير الغرض الذي وضع له، والهدف الذي يبتغى من ورائه. ولنضرب لهذا مثلاً يوضّحه ويدلُّ على صحّته؛ وذلك أن أشهر الشعارات الثورية هي شعارات الثورة الفرنسية (١٧٨٩-١٧٩٩م) الثلاثة: «حرية، مساواة، إخاء»، والإسلاميون من دعاة الثورة في بلاد الإسلام يقتبسون هذه الشعارات ويرددونها، حتّى ليبدو أنهم يقرونها بالمفاهيم التي استخدمت لها في الثورة الفرنسية، وينغرس ذلك في أذهان العامة، لكنّهم يضطرون - عند التفصيل - إلى التخلي عن أكثر تلك المبادئ والمفاهيم، لعلمهم بمناقضتها لدين الإسلام، ومصادمتها لخصوصية المجتمع المسلم، فيطلقون شعار «الحرية»، ثم يقيّدونه بالحرية العقديّة والفكرية، ويرفضون الحرية الأخلاقية، وهذا تناقض فاضح، فالحرية الأخلاقية في الغرب - التي أشاعت الفواحش وأقرّت الشذوذ وقنّنت للإباحية ودمّرت كيان الأسرة وتماسكها - هي نتيجة طبيعية للحرية الفكرية، وثمره من ثمراتها، بل ضرورة من ضرورتها، وإلا فما معنى إطلاق حرية الاعتقاد والفكر والرأي ثم منع ما ينتج عنها من أخلاق وسلوك وممارسات؟!

وكذلك يطلق الإسلاميون شعار «المساواة»، وعند التفصيل يقيّدونه ببعض الفوارق الشرعية والفطرية والطبيعية بين الرجل والمرأة؛ خلافاً لمبادئ الثورة الفرنسية وممارساتها التي أنتجت القوانين الوضعية في الغرب القاضية بإلغاء أي تمييز بين الجنسين!

وفي ضوء هذا التقرير والتفصيل ينبغي النظر إلى جميع الشعارات الوافدة على المجتمع المسلم، ومن الأهمية بمكان أن ينشط بعض الباحثين المتقنين إلى وضع معجمٍ للشعارات المعاصرة لتحرير معانيها، وتحديد استخداماتها، وبيان حكمها الشرعي، وبالله تعالى التوفيق، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْوَالِيُّ﴾ ﴿٧٠﴾.

فهرس الموضوعات

٥	مدخل:
٧	الشُّعارات في الميزان الشَّرعي:
٨	الشُّعارات المعاصرة يمكن تصنيفها في أقسام ثلاثة:
٨	القسم الأول: شِعارات صحيحة معتبرة:
٨	القسم الثاني: شِعارات فاسدة باطلة:
١٠	القسم الثالث: شِعارات مجملة تحتمل معانٍ صحيحة وأخرى فاسدة:
١٣	كلمة حقُّ أريدَ بها باطل:
١٥	العولمة وزحمة الشِعارات:
١٩	فهرس الموضوعات